

تأليف : كورزيو مالابارته
ترجمة : صلاح عبد الصبور
تقديم : سمير فريد





المشروع القومي للترجمة

305



المشروع القومى للترجمة



تأليف : كورزيو مالابارته

ترجمة : صلاح عبد الصبور

تقديم : سمير فريد



٢٠٠١



المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

المجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084 E. Mail : asfour @ onebox. com

مقدمة

رواية «الجلد» أو «جلد الإنسان»

هناك أيام لا تنسى في حياة كل إنسان، ومن بين هذه الأيام في حياتي يوم موت صلاح عبد الصبور، كنت قد أحببت الشعر من خلال قراءة شعره، وأحببته من دون أن أعرفه شخصيًا، وعندما تعرفت عليه أثناء رئاسته لهيئة الكتاب ازداد حبي له أو بالأحرى أحببت الإنسان كما أحببت الشاعر، ووقتها كان الصحفي لكي يسافر إلى الخارج يحصل على تصريح عُرف باسم الورقة الصفراء، وعندما منعني رئيس التحرير من السفر عام ١٩٨٠ لتمثيل مصر في اللجنة الدولية لكتابة التاريخ العام للسينما التابعة للأمم المتحدة أعطاني صلاح عبد الصبور الورقة الصفراء من هيئة الكتاب بعد موافقة منصور حسن وزير الثقافة آنذاك،ولم أكن موظفًا في الهيئة، ولكنه لم يعبأ بالقوانين حتى أسافر.

عندما علمت من أحد الأصدقاء بموت صلاح عبد الصبور، والظروف التي مات فيها؛ حيث وجهت إليه كلمات تتضمن اتهامات ظالمة من أحد الذين يزايدون على وطنية الآخرين انهمرت دموعي، وأدركت أن من تكون الكلمة حياته شعرًا فنيًا لابد أن تكون الكلمة مصيره ومماته أيضًا، لم يحتمل قلب الشاعر الذي عاش يصنع من الكلمات أجمل وأعمق الشعر الاستماع إلى ما استمع إليه من كلمات. أمسكت بالقلم، وظللت أكتب طوال الليل ما يقرب من عشرين

صفحة،وبعد أن انتهيت قررت أن يكون عنوان النص «ليلة موت صلاح عبد الصبور»، ولم أنشره أبدًا، شعرت أن ما كتبته خاص جدًا لنفسي وإليه، وليس للنشر على الآخرين.

وبعد سنوات، وعندما كنت أقرأ العدد الخاص من مجلة «فصول» الذى حرره الدكتور جابر عصفور عن صلاح عبد الصبور لاحظت في الببليوجرافيا التى نشرت فى نهاية العدد أن الشاعر العظيم ترجم رواية واحدة فى حياته هى رواية «الجلد» أو «جلد الإنسان» للكاتب الإيطالى كوزريو مالابارته، كنت قد شاهدت الفيلم الذى أخرجته ليليانا كافانى عن هذه الرواية، وكشفت لى ترجمته لها عن جوانب لا أعرفها عنه؛ فهو ليس مترجمًا، ولم يترجم فى حياته أى رواية أخرى، واختياره لهذه الرواية إذن ليس تعبيرًا عن رغبة فى الترجمة، أو رغبة فى الاقتراب من عالم الرواية، وإنما الإعلان عن تبنيه وجهة نظر مالابارته فى الحياة والعالم الذى عاش فيه أثناء صعود الفاشية فى إيطاليا والنازية فى ألمانيا ثم سقوطهما بعد الحرب العالمية الثانية التى قتل فيها ٥٠ مليون إنسان.

وعندما بدأ الاستعداد لاحتفال المجلس الأعلى للثقافة بذكرى صلاح عبد الصبور تحت قيادة الدكتور جابر عصفور أيضًا، ولكن بوصفه الأمين العام للمجلس، اقترحت عليه إصدار الرواية لأول مرة فى كتاب، وكانت قد نشرت مسلسلة فى مجلة صباح الخير، وأن تكون مقدمة الترجمة هذا المقال الذى نشرته عقب مشاهدة الفيلم فى عرضه

العالمى الأول عام ١٩٨٠، والذى دفعنى إلى التعرف على عالم مالابارته.

عرض مهرجان كان عام ١٩٨١ الفيلم الإيطالى «جلد الإنسان» إخراج ليليانا كافانى، وهو الفيلم الطويل السابع للمخرجة التى ولدت عام ١٩٣٧، ودرست فى المدرسة القومية للفيلم بروما؛ حيث أخرجت فيلمين قصيرين عامى ١٩٦١، ١٩٦٢، ثم أخرجت ثمانية أفلام للتليفزيون الإيطالى (راى) فى الفترة من عام ١٩٦٣ إلى عام ١٩٦٦.

وقد لفتت ليليانا كافانى الأنظار بأفلامها التليفزيونية المتميزة سواء التسجيلية أو الروائية؛ إذ بدأت بإخراج فيلم «تاريخ الرايخ الثالث» ومدته أربع ساعات، ثم «المرأة فى المقاومة» ومدته ساعة عام ١٩٦٢، ثم «عصر ستالين» ومدته ثلاث ساعات عام ١٩٦٤، ثم «محاكمة فيليب بيتان فى فيشى» ومدته ساعة عام ١٩٦٥، وأخرجت بعد ذلك «القضية فى إيطاليا» و «المسيح أخى» و «يوم سلام» عام ١٩٦٥، ثم «القديس فرانسيس» عام ١٩٦٦.

وفى عام ١٩٦٨ أخرجت ليليانا كافانى فيلمها الروائى الطويل الأول للسينما، وهو فيلم «جاليليو» ثم «آكلو لحوم البشر» عام ١٩٦٩، الذى عرض فى الدورة الأولى لبرنامج «نصف شهر المخرجين» فى مهرجان كان ذلك العام، و «النقيض» عام ١٩٧١، و «بواب الليل» و«ميلاريب» عام ١٩٧٣، وقد عرض الثانى فى مسابقة مهرجان كان عام ١٩٧٤ و «ما وراء الخير والشر» عام ١٩٧٧، ثم «جلد الإنسان» عام ١٩٨٠، وتشكل أفلام ليليانا كافانى عالمًا خاصًا تحاول فيه استجلاء

تاريخ أوربا دون الخضوع للمقولات السائدة حول هذا التاريخ من أيام المسيح إلى أيام هتلر.

واختيار كافانى لرواية «جلد الإنسان» للكاتب الإيطالى كورزيو مالابارته (١٨٩٨ ـ ١٩٥٧) التى تدور أحداثها فى نابولى بعد الحرب الثانية مباشرة، يؤكد نزعتها إلى استجلاء التاريخ دون الخضوع للمقولات السائدة؛ ففى أغلب الروايات والأفلام التى تتناول فترة سقوط الفاشية ونهاية الحرب العالمية الثانية يبدو الصراع بين الحلفاء ودول المحور، أو بين قوات الاحتلال وقوات المقاومة، صراعًا مجردًا بين الخير والشر، أو بين الأبيض والأسود، ويفتقد الظلال والألوان، أو بالأحرى التناقضات التى تعكس الأبعاد الحقيقية لأى صراع فى التاريخ.

أما فى رواية «الجلد»، وفى كل أعمال مالابارته، فإننا نجد الكثير من الأبعاد الحقيقية للصراع الذى دار فى النصف الأول فى الأربعينيات، و «جلد الإنسان» هى إحدى روايتين عُرِفَ بهما مالابارته بعد الحرب، والرواية الأخرى هى «الانهيار التام» التى ترجمها إلى العربية فريد كامل فى أواخر الستينيات، ومن كتبه المعروفة أيضًا «نهر الفولجا ينبع فى أوربا»، و «أهل توسكانيا الملاعين»، ومسرحية «النساء أيضًا خسرن الحرب»، وسيناريو فيلم «المسيح ممنوع».

ولد مالابارته لأب ألمانى وأم بولندية، وانضم للحزب الفاشى



الإيطالى وهو دون الثلاثين، وصار رئيسًا لتحرير جريدة الحزب الرسمية «لاستامبا»، ولكنه سرعان ما أصبح معاديًا للفاشية، فطرد من إيطاليا، وبعد فترة عفا عنه موسولينى وألحقه بالسلك الديبلوماسى.

وفى عام ١٩٣٨ أصدر كتابًا بعنوان «تكنيك الثورة»، فأمر هتلر بإعدامه، وأثناء الحرب عمل مالابارته مراسلاً صحفيًا من الجبهة، وكتب مقالات اعتبرها موسولينى خيانة عظمى؛ فنفى من إيطاليا مرة ثانية، ولم ينقذه من الموت غير علاقته بابنة موسولينى إيدا شيانو.

وبعد موت موسولينى عاد مالابارته إلى إيطاليا سرًا، فقبض عليه، ولكنه تمكن من الهرب، وأصبح قائدًا لإحدى فرق جيش التحرير الإيطالى الذى حارب مع الجيش الأمريكى.

وقد هوجم أدب مالابارته بعنف داخل إيطاليا وخارجها، ومن مختلف الاتجاهات السياسية، ولكنه بالطبع وجد من يدافع عنه فى نفس الوقت. يقول مالابارته «إنهم يكرهون كلماتى لأنها لا تصف الانهيار التام الكامل الذى أصاب أوربا فحسب، بل الذى أصاب النفس البشرية ذاتها والقيم الإنسانية فى العالم كله».

ولكن أهمية كتابات مالابارته، والسبب الذى جعلها موضع الهجوم من مختلف الاتجاهات أكثر من أى سبب آخر هو أنه يرى أن أوربا تحررت من الاستعمار النازى، وسقطت تحت الاستعمار الأمريكى؛ لقد رأى ذلك حتى فى الوقت الذى كان فيه الجميع يتطلع إلى أمريكا كقائدة للحرية والديموقراطية فى العالم بعد الحرب، يقول

مالابارتـه «إن الذيـن ماتوا ليحرروا أوربا قد ماتوا بلا فائدة؛ لأن أوربا لم تتحرر بعد».

وهذه الـرؤية للعـالم، ولمصير أوربا بعد الحرب نجدها أيضًا فى فيلم ليليانا كافانى.

إن فيـلم «جلـد الإنسـان» مـن الأفلام التى يمكن أن تُقرأ على عدة مسـتويات؛ فهـو فيلم أوربى عن المواجهة بين أوربا وأمريكا، وهو فيلم سياسـى عن الصراع بين الذين لا يملكون شيئًا والذين يملكون كل شىء، وهـو فيـلم إنسانى عن «الانهيار التام الذى أصاب النفس البشرية» على حد تعبير مالابارتـه، ويمكن أيضًا اعتباره فيلمًا عن نـهاية العالم.

لقـد كانـت نـابولى قـبل الزلزال إحدى ثلاث مدن تمثل الحضارة الأوربية فى القرن الثامن عشر مع باريس وفيينا، كما كانت نابولى أول مديـنة أوربـية تـتحرر مـن الفاشـية، لتواجه غزوًا من نوع آخر بقيادة الجيش الخامس الأمريكى الذى أراد قائده الجنرال كلارك أن يسلك إلى رومـا نفـس الطريق الذى سلكه قيصر تعبيرًا عن المواجهة بين الحضارة الأوربـية القديمـة وحضـارة الأنجلـو ساكسـون الجديـدة، تقـول ليليانا كافـانى: «الفيـلم لـيس عن الحرب، كانت الحرب قد انتهت فى نابولى عام ١٩٤٣، ولكنه لم يكن السلام أيضًا».

وتقـول ليلـيانا كافانى إن الفيلم يؤكد أن «هؤلاء الذين لا يملكون شـيئًا لا يستطيعون إلا أن يقدموا أجسادهم إلى الذين يملكون كل شىء»، وتقـول «علينـا أن نـتذكر أنه قبل سنوات قليلة من أحداث الفيلم، وفى

ظل ظروف معيشية جيدة، كان أساتذة الجامعة والمثقفون يبيعون أنفسهم أيضًا إلى السلطات الفاشية لكى يحصلوا على منصب أو عمل».

وعنوان «الجلد» أو «جلد الانسان» ـ كما ترجمه فريد كامل ـ يعكس البعد الإنسانى العام للفيلم... يقول مالابارته «وطننا هو جلدنا»، وتقول ليليانا كافانى «كل الجلد ـ جلد البشر، وجلد الكلاب ـ هو خريطة العالم الجغرافية»، وتقول «الفيلم لا يتحدث فقط عن آلاف الطرق التى يمكن أن ينجو منها الإنسان بجلده؛ الجلد هو اللحم، وهو مشترك بين العسكريين والمدنيين، الرجال والنساء، الأطفال والعجائز والجبناء، وفى نفس الوقت الشجعان»، وحقيقة أن غزاة نابولى الجدد كانوا من بلاد كثيرة (أمريكا وإنجلترا وفرنسا والمغرب والهند... إلى آخره)، وأن كلاً منهم يتحدث فى الفيلم بلغته الأصلية، تجعل نابولى وكأنها «برج بابل» أو «مصغر الكون».

تكتب عناوين فيلم «جلد الإنسان» الذى كتبته المخرجة مع المؤرخ الأمريكى روبرت كانز على لقطات لوحدات من الجيش الأمريكى الخامس تدخل نابولى وأخرى تصور قائد الجيش الجنرال كلارك يرافق قواته، ويتطلع إلى المدينة من طائرته، ومع الجنرال فى الطائرة نرى ضابطًا إيطاليًا يمثل شخصية مالابارته نفسه، وهو الذى يربط بين أحداث الفيلم، ويلخص المشهد الأول من الفيلم المواجهة بين الحضارة المتداعية والحضارة البازغة على تناقضها؛ فنحن نرى بعض الجنود الأمريكيين يقتربون من ساحة كبيرة بها مقهى فاخر، وأمام المقهى فرقة موسيقية تعزف «فالسًا» كلاسيكيًا، ويتصور الأمريكيون أن



هذه الفرقة الموسيقية ما هى إلا خدعة عسكرية؛ فينتشرون ويستعدون للقتال، ولكنهم سرعان ما يدركون أنها فرقة حقيقية تعزف ابتهاجًا بعودة السلام.

ويعقد الجنرال كلارك مؤتمرًا صحفيًا فى قصر كونتيسة إيطالية على صلة بالضابط الإيطالى، واختيار هذا القصر يؤكد أيضًا معنى المواجهة بين الحضارتين، وفى شوارع نابولى، من خلال الضابط وعشيقته الكونتيسة نرى كل شىء معروضًا للبيع، وبأقل الأثمان، وأول هذه الأشياء الإنسان نفسه، والموتى يتساقطون بالجملة، والتوابيت توضع فى عربات النقل مع البطاطس.

وفى منزل يذكرنا بمنزل مشابه فى «ساتيركون ـ فيلليني» ويعبر عن العمارة الإيطالية القديمة، نرى طوابير الجنود الأمريكيين أمام غرف العاهرات، كل منهم ينتظر دوره، وبينما ينشغل الجنرال كلارك بمشكلة ٢٧٣ أسيرًا ألمانيًا يحتجزهم الإيطاليون، ويصرون على بيعهم بالكيلو، يبدو الضابط الإيطالى مهمومًا بما يحدث فى بلاده، إنه يتطلع إلى النساء فى الشوارع وهن مفتوحات الأرجل قائلا «هذه هى إيطاليا».

وفيلمنا هو «ساتيركون» معاصر؛ إذ يتشابه البناء الفنى للفيلم مع البناء الفنى لفيلم فيلليني، كما يتشابه البناء الفنى لكتاب مالابارته مع البناء الفنى للأصل الأدبى الرومانى القديم الذى استمد منه فيلليني فيلمه، ورغم تأثر ليليانا كافانى فى بعض مشاهد فيلمها بفيلم الأستاذ الإيطالى الكبير، إلا أنها تملك أسلوبها الخاص المميز بنظرتها التى تختلف عن نظرة فيلليني.

فمشاهد فيلم «جلد الإنسان» مشاهد مستقلة يعبر كل منها عن حدث معين دون أن يرتبط عضويًا بالمشهد الذى يليه.

وإذا كانت شخصية الضابط الإيطالى تجمع بين هذه المشاهد من حيث السرد؛ فإن ما يجمع بينها دراميًا إنما هو موضوع السقوط الإنسانى، ووجهة نظر المخرجة التى تشعر بالارتياح من هذا السقوط، وتصوره لكى تؤكد عليه، وترفضه وتدعو المتفرج إلى نفس الموقف.

وكما يهبط الجنرال كلارك على نابولى من الطائرة، كذلك تأتى مسز وايت من واشنطون لكى تستعرض مهارتها فى الطيران، وتتوازى حركة مسز وايت فى نابولى مع الضابط الإيطالى، مع حركة ضابط أمريكى شاب يدعى جيمى، هو رمز للطهارة والنقاء فى عالم فقد براءته، يتعلق بفتاة إيطالية هى ماريا بعد أن أنقذ أخاها الصغير من الموت فى أحد حقول الألغام التى زرعتها القوات المتحاربة.

وتتناثر الأشلاء البشرية فى الفيلم: يتناثر الجلد فى كل مكان؛ فعلى باب إحدى المستشفيات العسكرية نرى بقايا الجنود، وعندما ينزل الأمريكيون إلى الأسواق يشترون كل الفاكهة وكل الخضروات، ينفجر لغم فى أحدهم، فتخرج أحشاؤه كاملة، ويؤدى مارشيليو ماستروويانى الذى يقوم بدور الضابط الإيطالى مشهدًا عبقريًا عندما يريد أن يرفه عن الجندى الشاب وهو يموت، فيقلد طريقة موسولينى فى الخطابة وهو يتمزق من الداخل بدوره.

وفى قصر الكونتيسة، وبمناسبة الاحتفال بمسز وايت، تقدم

ليليانا كافانى مشهدًا فيللينيًا رائعًا فى قاعة الطعام الفاخرة؛ فالكل فى أبهى حلة يستعدون للعشاء، وتأتى السمكة الضخمة مغطاة، ويرفع عنها الجنرال كلارك الغطاء المعدنى فإذا هى حورية البحر النابوليتانية الشهيرة التى تشبه جثة طفل ميت، ويتم الانتقال من هذا المشهد إلى الشارع مرة أخرى حيث نرى أحد الشباب يحاول قتل امرأة بعد أن فوجئ بأنها تبيع نفسها فى الشارع.

وإذا كانت وجهة نظر مالابارته تنعكس من خلال الضابط الإيطالى الذى يمثله؛ فإن وجهة نظر ليليانا كافانى تنعكس من خلال مسز وايت؛ فمخرجتنا امرأة أيضًا، وهى تعبر بالضرورة ، ونتيجة الأصالة من وجهة نظر امرأة، رغم أن موضوعاتها ليست الموضوعات المعتادة فيما يسمى السينما النسائية.

لقد كان برنارد شو يسخر من المرأة قائلاً إن الرجل يتطلع إلى السماء فتشده المرأة إلى الأرض، ولكن - وعلى العكس تمامًا - نجد مسز وايت فى «جلد الإنسان» تتطلع إلى السماء بالمعنى المادى للعبارة وهى تقود الطائرات، بينما يشدها الضابط الإيطالى إلى الأرض، وليس معنى هذا أن مسز وايت هى مثال الشخصية الكاملة؛ فالمسألة ليست دفاعًا وهجومًا؛ فهى أيضًا تعمل من أجل مجدها الخاص، وتريد أن تشبع غرورها.

فبعد أن ترفض مسز وايت إغراءات الضابط الإيطالى وترده عنها قائلة إنها سيدة متزوجة، تأخذه فى الطائرة معها، وتدور به حتى

تكاد تنقطع أنفاسه، وعندما ينزلان يصحبها معه في الشوارع، فترى الأمهات وهن يعرضن أطفالهن الصغار للدعارة أيضًا، وبعض جنود الفرقة المغربية وهم يتحسسون الأطفال على نحو شديد البشاعة، ورب قائل إن هذا المشهد ضد العرب، ولكنه يكون ضد العرب بقدر ما يكون الفيلم كله ضد الإنسان.

ومرة ثانية تقدم ليليانا كافانى مشهدًا فيللينيًا، وهو مشهد الشاذ الذى يلد مولودًا من الخشب، والرجال يلتفون حوله يدقون الطبول ويصرخون، ويدفع الضابط الإيطالى مسز وايت لمشاهدة هذا المنظر الذى يدور فى منزل محطة بالقرب من الشاطئ إمعانًا فى محاصرتها بالواقع المرير، ولكنها مرة أخرى تهرب، وتتعلق فى السماء.

ولا يملك الضابط الأمريكى الشاب جيمى إلا أن يعاشر العاهرات بدوره، ولكنه يبحث عن ماريا «العذراء الأخيرة فى نابولى» حتى يجدها فى مشهد آخر يصل الفيلم فيه إلى ذروة جديدة؛ فعلى باب منزلها يجد جيمى والد ماريا وهو يطرحها فى المزاد بين الجنود الأمريكيين، ويرى طابورًا طويلاً من الجنود فى انتظار من يفض بكارتها، لكى يأخذ كل منهم دوره منها، وبالطبع يثور جيمى ويفقد وعيه، فيندفع نحو الفتاة النائمة على فراشها مفتوحة الساقين، ويدفع أصبعه داخلها وهو فى حالة من الهستيريا العنيفة، ثم يلطخ وجه والدها بالدم، وهو يصرخ فيه.

ولكى يكتمل التعبير عن فكرة خريطة العالم الجغرافية المكونة

من جلد الإنسان وجلد الكلاب، تصور ليليانا كافانى مشهدًا للكلاب التى تُجرى عليها التجارب فى إحدى المستشفيات، ومسز وايت تتطلع إليها مع الضابط الإيطالى، وفى حفلة عشاء فاخرة أخرى يقول الضابط «العالم الإيطالى هو الرجل والجنس والأخلاق والعائلة والكنيسة»، وفى نفس اللحظة يأتى أحد الخدم ويقول لصاحب القصر: سيدى الأمير زحام على الباب، ويندفع الشعب الجائع داخل القصر ليزيح كل ما فوق المائدة، ويضع جثة فتاة ميتة، ويبدأ الجميع فى إجراءات إعداد الفتاة للدفن.

وفى حوار بين الضابط ومسز وايت يقول لها اعترفى فإيطاليا هى التى اخترعت الاعتراف؛ فتعترف أنها تعيش فى أكاذيب، وإنها تعمل لخدمة نفسها فقط، ولكنها تنهى اعترافها بأن توجه له سيلا من الشتائم البذيئة وغير البذيئة هى أطول وأقبح شتائم وجهت من امرأة إلى رجل أو على وجه التحديد من امرأة إيطالية إلى رجل إيطالى، وتعبر عن وجهة نظر ليليانا كافانى بمنتهى الدقة.

ومع نهاية هذه الشتائم الطويلة تبدأ العاصفة التى تسبق الزلزال الذى يصنع نهاية الفيلم، ومرة أخرى، مثل السمكة النابوليتانية، نجد الزلزال هنا مستمد من واقع الأرض البركانية لمدينة نابولى، وإن كان لا يأتى فى إطار واقعى، وإنما يعبر عن فكرة نهاية العالم، وثورة الطبيعة ضد البشر؛ فتتهدم البيوت، وتخرج العاهرات عرايا فى الشوارع، فى الوقت الذى يبحث فيه جيمى عن ماريا، وتخرج الكونتيسة من قصرها، وتقدم نفسها لأول مراهق فى أول بيت يصادفها.



وتحـاول مسز وايـت الهـرب بطائـرتها، ولكـن الطائرة تسقط، وتـتعرض هـي للاغتصـاب الجمـاعي بطـريقة وحشـية حتى تفقد النطق وتصاب بانهـيار عصـبي، ومـن بين كل هذا الحطام البشري، تستجمع ليلـيانا كافـاني كل طاقات الأمل عندما يلتقي جيمي وماريا ويذهبان إلى الكنيسـة في محاولة لبدء حياة جديدة، وكما يبدأ الفيلم بجنود الجيش الخامس الأمريكي ينتـهي بهم أيضًا، ولكن في الطريق إلى روما.

وأثـناء مسـيرة الجـيش، يخـرج الإيطالـيون يرحـبون بقـوات الـتحرير، ومـن بـين الـناس نـلمح رجـلا بائسًـا يحمل ابنه على كتفيه ويهـتف «فـيفا أمـريكا... فـيفا لا أمـريكانا» وفجـأة تصـرعه إحـدى الدبابات... وبينما يخرج ابنه سليمًا من تحت الدبابة، نراه وقد تحول إلى خلـيط مـن الـدم والعظـم والـلحم، وتكـون أوامـر الجـنرال «امـنعوا التصـوير ولـتمض المسـيرة»، وتمضي المسيرة بالفعل، ولكن هذه المرة من دون الضابط الإيطالي.

سمير فريد

المؤلف والكتاب

هذه الرواية يوميات مدينة أفسدت الحرب حياتها... مدينة كانت تقاتل في بسالة؛ فلما دخلها المنتصرون أذلوا شعبها بالجوع والمرض والحطة، فترديت المدينة في هاوية الدعارة والتسول...

والمدينة هي نابولي، أول مدينة إيطالية دخلتها جيوش الحلفاء في سبتمبر عام ١٩٤٣، جيوش جائعة للشهوة والمتعة، وهي تبحث عن متعتها في كل مكان، وتجعل من كل شبر تنزل فيه ماخورة...

ومؤلف هذه الرواية هو كورزيو مالابارته الكاتب الإيطالي الشهير، ولد سنة ١٨٩٨، ومات هذا العام، وقبل أن يموت كتب إلى البابا يطلب معفرته على كتابة هذه الرواية الصريحة التي كتبها على صورة فصول مستقلة، تصور حياة مدينته التعسة بعد الحرب، ولكن هذه الفصول جميعها تتكامل في بناء روائي يترك في النفس إحساسًا عميقًا بكراهية الحرب... الهزيمة فيها والانتصار...

ومالابارته عرف الحرب معرفة وثيقة، فحين شبت الحرب العالمية الثانية كان يعمل مراسلا لإحدى الصحف في الجبهة الروسية؛ فلما استسلمت إيطاليا واعتقل موسوليني عاد مالابارته إلى وطنه كضابط اتصال بين حكومة بادوليو وبين قوات الحلفاء التي دخلت إيطاليا لتحررها قيادة الجنرال كلارك الأمريكي..

ومـن انطـباعات هـذه الأيـام الـتى صـحب فـيها الكاتـب جيوش الحلفاء كتب روايته هذه.. الجلد..

صلاح عبد الصبور

الجلد

صلاح عبدالصبور



كنت الضابط الإيطالى المرافق لجيش التحرير التابع للحلفاء فى نابولى بعد أن استسلمت إيطاليا.. وكنت أجوب المدينة يومًا مع صديقى الكولونيل الأمريكى جاك هاملتون، وكان منظرنا بملابسنا النظيفة ووجوهنا التى يبدو عليها أثر الشبع يبدو غريبا بين الأنقاض والجوع وبين أهالى نابولى الممزقى الملابس الذين تنهال على رءوسهم الشتائم بجميع اللغات واللهجات الممثلة فى جيش التحرير..

ورغم الأحوال السيئة التى كان يعيش فى ظلها أهل نابولى، إلا أن أحدًا منهم لم يكن يبدو عليه شعور المهزوم فى حرب، فبعد سنوات من الحرب وبعد الاستسلام وبعد دخول جيوش الحلفاء، وبعد هذا المرض الذى يأتى فى أعقاب الحرب، مرض الطاعون، كان أهل نابولى لا يحسون أنهم قد خسروا الحرب، وكان هناك مئات من الإيطاليين الذين جندوا مرة ثانية ليحاربوا فى صفوف الحلفاء بعد أن حاربوا إلى جانب الألمان، وكانوا يلبسون ملابس خاكية بريطانية، يغلب على ظنى أنها كانت لجنود قد ماتوا فى ميدان القتال.. كان بعضها ملطخا بالدم وبعضها تفوح منه رائحة العرق..

أما أنا فقد كنت ألبس حلة ضابط بريطانى فيها ثلاثة خروق من أثر الرصاص.. ربما حاربت هذه الحلة فى العلمين أو على تلال طبرق.. وقد ذهبت بهذه الحلة لرؤية مواطنى من الجنود الذين لبسوا الخاكى للمرة الثانية، وصاح فيهم الجاويش حين وصلت:

انتباه..

ووقف الجنود صفا واحدا منتظما، ثم نظروا إلىّ فى عاطفة

حـارة.. كنـت أنـا الضـابط الوحيد من أهل وطنهم الذى رأوه، وتحدثت إليهم قائلا:

«إنـنا ندافـع عـن الحـرية، نحن جنود إيطاليا الجديدة، وإن من واجبـنا أن نحـارب الألمـان ونطردهم من بلادنا. إن عيون الإيطاليين فى جمـيع أنحـاء أيطالـيا تـتطلع إليكم لأن عليكم أن ترفعوا هذا العلم الذى مرغ فى التراب»..

وخرجـت إلى الشـارع حيث وجدت صديقى الأمريكى ينتظرنى، وانطلقـنا لـنكمل جولتـنا فـى المديـنة. كانـت هـناك جماعات من النساء العاريـات المتزيـنات يتـبعن جماعـات مـن الجـنود السـود الأمريكيين، وكانـت النساء يصحن فى الجنود الزنوج: هاللو.. هاللو ياجو!.. وعلى الرصـيف كان يجلس بعض النساء على مقاعد أمام المنازل، وكان البعض الآخـر يطـل مـن شـبابيك المـنازل كـأنهن يـنظرن مـن مقصورات مسرح ريفـى، والجميع ينظرن إلى الجنود الزنوج، وتتبع نظراتهن جماجمهن المستديرة الصغيرة وأحذيتهن وسيقاهن اللامعة كالتماثيل السوداء..

وأمـام صـناديق خشـبية صـغيرة كانـت تجلـس جماعـات مـن الصـبيان، ويدقـون بفرشـاتهم عـلى الصـناديق ويصـيحيون: «مسـح أحذيـة».. «مسح أحذيـة»، ويمـدون أحـيانا أيديهـم إلى ذيل بنطلونات الـزنوج ثم ينظرون إليهم فى رجاء، وعلى مفارق الطرق كان يقف بعض النسـاء العجائـز يـبعن بضـاعتهن الغريـبة، صـبيان وبنات بين الثامنة والعاشـرة، فهذا يوافق مزاج الجنود المراكشيين والهنود والمدغشقريين،

وكـان الجنود يتحسسون الصبيان والبنات، ثم يمدون أيديهم بين زراير بـنطلونات الصـبيان أو يـرفعون رداء البـنات الصـغيرات بأصـابعهم، والنساء يقلن فى صوت هامس للجنود:

الولد بدولارين، والبنت بثلاثة..

ووجـدت فـى نفسـى رغـبة عارمـة لكـى أسأل صديقى الأمريكى الكولونيل جاك هاملتون:

أخبرنى بصراحة.. هل تريد بنتا صغيرة بثلاثة دولارات؟..

وصاح هاملتون:

اسـكت ياماالـبارته.. إن ثلاثـة دولارات ليسـت مـبلغا كـبيرا بالنسـبة لبنـت صـغيرة.. إن رطـلين مـن الـلحم يساويان أكثر من هذا، وإنـى لواثـق أن البنـت الصـغيرة تـزن أكـثر من هذا من اللحم، كما أنى واثق أن سعرها فى نيويورك أو لندن أكثر من هذا بكثير..

اسكت ياماالبارته..

إن بنـتا صـغيرة بـين الثامنة والعاشرة تزن خمسة أرطال، وثمن رطـل الـلحم فـى السوق السوداء دولار وعشرة سنتات، فثمن البنت إذن يجـب أن يكـون خمسـة دولارات وخمسين سـنتا، وفـى هذه المرة صاح هاملتون بصوت ملؤه الغيظ:

قلت لك اسكت!.. اسكت أرجوك.. والواقع أنه لم تكن بى رغبة

لإغاظـة صديقى الأمـريكى.. فهو ليس مسئولاً عن الحرب، كما أنـه من أحسـن الأمريكـيين الذيـن رأيـتهم، كـان يكـاد يكـون أوربـيًا، ويتكـلم الفرنسـية بطلاقـة، ويحفـظ بودلـير، ويؤمـن بالمحبة المسيحية، ولكن رؤية مواطنى أهل نابولى الجميلة بهذه الحال أفقدنى رشدى..

وفـى خـلال الأيـام القلـيلة التى مرت بعد التحرير كانت أسعار الـرجال والنسـاء والأولاد تـنخفض بانتظام، بينما ترتفع أسعار الدقيق والسـكر والـزبد؛ فمـنذ أسـبوع كانـت الفـتاة بين العشـرين والخامسـة والعشـرين تعـرض فـى السـوق بعشـرة دولارات، أمـا الآن فقد أصبحت بأربعـة فقـط، وربما كان انخفاض سعر اللحم البشرى فى نابولى راجعا لقـانون العـرض والطلـب.. فقـد تدفقـت من جميع أنحاء جنوب إيطاليا خـلال الأسبوع مئات من الفتيات، كما عرض فى السوق كمية كبيرة من لحـوم صـقلية البشـرية.. وفـى كـل يـوم كان يتدفق على الحمير، وعلى عـربات الجيب التابعة للحلفاء أطنان أخرى من اللحم البشرى.. فتيات قويـات فلاحـات أغراهن سراب الذهب فى نابولى، وهكذا انخفض سعر الإنسان فى نابولى، وكاد يخشى من هذه المنافسة على اقتصاد المدينة..

ومـن ناحـية أخـرى ارتفـع سـعر الـلحم الأسـود.. لحـم الجنود الـزنوج حـتى أصبح أغـلى مـن الـلحم الأبـيض، لقـد أصبح ثمن الرجل الأسـود أغـلى مـن الأمريكية البيضاء، لقد أصبح الزنجى ثروة، وارتفع سـعره مـن مائتى دولار إلى ألف، وكان هذا السعر يرتفع بنفس السرعة الـتى يهـوى بهـا سـعرٍ المـرأة البيضـاء، وأصـبح حـلم الرجل الفقير فى نابولى أن يستأجر رجلاً أسود ولو لساعات قصيرة..

كان الرجل فى نابولى يتعرف على الزنجى ثم يأخذه ليدور به من حانة إلى حانة ومن ماخورة إلى ماخورة، وقد يقابله فى الطريق كثيرون من جيرانه ويقولون له:

«هل تبيع هذا الزنجى!.. عشرين دولارًا فورا.. ثلاثين.. خمسين»..

وفى ساعات كان هذا الزنجى يشرب حتى يفقد وعيه، ثم تُخلع ملابسه وتُنزع ساعته ونقوده، ثم يترك عاريا فى الطريق، وإذا وافق الرجل على بيع الزنجى فما عليه إلا أن ينزع يده من يد الزنجى، ثم يضعها فى يد المشترى الجديد، ويختفى فى زحام الطريق، كل هذا والزنجى يبتسم فى وقار المنتصر، ويدق بحذائه الأسود اللامع على الأرض الصلبة دون أن يدرى أنه قد أصبح عملة فى سوق نابولى الواسعة.

أما الحكماء من أهل نابولى فلا يبيعون الزنوج أبدا، بل يأخذ الرجل منهم الزنجى إلى بيته، ويعامله كضيف مكرم، ويتركه ليرقص مع بناته وزوجته على ألحان جراموفون قديم، ثم يسمح له أن ينام مع كل أفراد العائلة من الزوجة حتى الأطفال، ويعود الزنجى إلى منزله الجديد كل مساء ومعه هدايا من السكر والسجاير والأحذية والملابس وملاءات السرير والمعاطف والدقيق والزبد واللحم المعلب والجوارب والحلوى، ويتأثر الزنجى بالجو العائلى الذى يسبغ عليه بالسهر فى المساء ومائدة العشاء المعدة والنبيذ وابتسامات النساء والأطفال، ويصبح الزنجى بعد أيام عبدا للأسرة النابولية الجديدة دون أن يدرى..

ومن الطبيعي أن يصبح الزنجي الذى يقود سيارة نقل تابعة للحلفاء أغلى الجنود سعرا؛ فقد جلب بعض الجنود لعائلاتهم سيارة كاملة محملة بالبضائع والهدايا، بل إن بعضهم قد ترك السيارة نفسها عند أسرته الجديدة، وبعد ساعات تختفى السيارة نفسها وتصبح قطعا صغيرة..

ولازلت أذكر أن إحدى سفن التى تتبع جيوش التحرير وصلت ذات مساء إلى ميناء نابولى، وبعد ساعات لم تكن الحمولة فقط هى التى تسربت إلى أزقة نابولى، بل لقد اختفت السفينة نفسها ولم يسمع عنها أحد شيئا، وظلت أزقة نابولى تضحك على هذا الحادث أياما ثم نسيته.

وزاد انتشار الطاعون، هذا المرض الذى يأتى دائما فى أذيال الحرب، وكان الدواء الوحيد الذى اهتدت إليه السلطات البريطانية والأمريكية هو أن تمنع القوات المتحالفة من دخول الأماكن الموبوءة فى المدينة.. فكنت تجد على الحيطان «ممنوع الدخول»، وتحتها رسم لعظمتين متقاطعتين فى شكل صليب وبينهما جمجمة..

وبعد قليل من الوقت أصبحت نابولى كلها مرسومة بهذا الرسم ومكتوبا عليها «ممنوع الدخول»، ولما كان من طبيعة الناس جميعا، والجنود أيضا أن يحبوا كل ما هو ممنوع، ولما كان الناس لا يعرفون مصدر العدوى.. هل هو أهل نابولى، أم جنود جيش التحرير أنفسهم؛ فإن أحدا من الجنود لم يلق بالاً لهذه التحذيرات.. وظل اختلاط الجنود الظرفاء بأهل نابولى على أشده. وكانت نوبة جنونية من السكر والرقص

واللعب والضحك والأكل تنتاب جيوش الحلفاء وأهل نابولى وخاصة النساء كل ليلة..

سألنى صديقى الضابط الأمريكى ذات مساء ونحن خارجان من أحد المخابز نلتهم بعض الحلوى:

هل رأيت عذراء قط؟..
نعم، ولكن عن بعد..
هل رأيت عذراء عارية عن قرب؟..
لا..
وصاح بى.. إذن اتبعنى يا مالابارته..

كنت لا أريد أن أصحبه، فقد كنت واثقا من أنه سيرينى شيئا مخجلا منحطا، وأنا لا أريد أن أرى الانحطاط، ولا أسر برؤية الناس وهم ينحدرون إلى أسفل، وأخشى ما أخشاه فى هذه اللحظات أن يلتفت أحد هؤلاء المنحطين إلىّ، ثم يبتسم فى سخرية:

لقد كنت أفضل الحرب على الاستسلام ثم الطاعون.

فقبل التحرير كنا نقاتل لكى لا نموت، أما الآن فنحن نقاتل لكى نعيش، وهناك فرق عميق بين أن تقاتل لتتفادى الموت وأن تقاتل لتعيش؛ فالذين يقاتلون لكى لا يموتون يحتفظون بكرامتهم ولايجثون على ركبتهم وهم يهربون فى الجبال والغابات، ويعيشون فى الكهوف ويحاربون الغزاة فى ضرواة الذئاب حربا شرفية وكريمة.. والنساء لا

يلقين بأجسامهن فى السوق السوداء مقابل أحمر الشفاه والجوارب الحريرية والسجاير والخبز، بل يعانين الجوع وقساوته فى صبر وتماسك.. لقد كان أهل أوروبا قبل دخول جيوش الحلفاء من الأمريكيين والإنجليز يحاربون فى شرف لكى لا يموتون، ولكى يحتفظوا بروحهم سليمة..

ولكنهم بعد التحرير يحاربون لكى يعيشوا.. ولكى يحتفظوا بأجسامهم لا بأرواحهم.. لكى يحتفظ كل منهم بجلده وعظمه ولحمه فقط؛ إنها لم تعد حربا ضد الطغيان ولا حربا فى سبيل الحرية أو الكرامة الإنسانية أو الشرف.. بل هى حرب خسيسة فى سبيل لقمة خبز أو خرقة من الملابس الممزقة أو حزمة من القش ليناموا عليها، ولكى يعيش الإنسان فهو لا يتحرج عن شىء، قد يسرق ويغش ويدلس ويقود زوجته، وقد يجثو على ركبتيه ويلعق حذاء كل من يملك لقمة خبز أو قطعة سكر.. كانت هذه الخواطر تدور بذهنى وأنا وصديقى الأمريكى ذاهبان لرؤية العذراء، وكان على الباب حفنة من جنود الحلفاء بعضهم أمريكى وبعضهم إنجليزى أو بولندى، ووقفنا فى الصف فى انتظار دورنا..

وبعد انتظار نصف ساعة وجدنا أنفسنا على باب الغرفة، وكان الباب محجوبا عن أنظارنا بستارة من قماش ثقيل، وأمام الستار وقفت امرأة كهلة تلبس السوداء، وكانت نحيلة شاحبة الوجه، وكانت يداها اللتان تمتلئان بأوراق النقد معقودتين على صدرها:

دولار لكل منكما..

ودفعنا لها دولارين ودخلنا، وكانت الحجرة رثة الأثاث ذات باب آخر صغير في أحد أركانها.. وكانت جدران الغرفة مغطاة بأفيشات السينما وإعلانات أوبرا توسكا وعايدة وصور لنساء ورجال وأطفال، وفي ركن الغرفة كان شمعدان كبير على مائدة وبجانبه تمثال صغير للعذراء أو المسيح، أما السرير فقد كان مفروشا بملاءة زرقاء ناصعة اللون، وعلى طرف الملاءة جلست فتاة صغيرة تدخن سيجارة..

كانت تجلس وقد تدلت قدماها على الأرض.. وكانت تدخن في سكون وقد اعتمدت بوجهها على مرفقيها، وتبدو صغيرة جدا وإن بدت عيونها كعيون العجائز، وكانت ترتدى ثوبا ضيقا مفتوح الصدر..

لم يبد أن الفتاة قد رأتنا فقد ظلت تدخن في سهوم وهي تتجه ببصرها إلى الباب، وكنا عشرة في الغرفة وأنا من بينهم الإيطالى الوحيد، وفجأة وصلنا صوت من وراء الستارة يقول «كفى.. اشتغلى»!..

وألقت الفتاة السيجارة من فمها ثم سحقتها على الأرض، ومدت يدها إلى ثوبها ثم رفعته.. وبدت ركبتاها أولا ثم فخذاها، وبعد لحظة كانت تستلقى على السرير عارية تماما، وكان وجهها جامدا وفمها نصف مفتوح في ضيق..

وصاح صوت من ورائنا: «إنها عذراء»، ويمكنكم أن تلمسوا، ولا تخافوا، إنها لا تؤذى أحدًا ولا تعض، إنها عذراء.. عذراء حقيقية.

ومد أحد الزنوج يده، وضحك بعض الناس ولم تتحرك العذراء،

بـل ظلـت تـنظر إلى الزنجى بعينين مليئتين بالخوف واللعنة، ونظرت حولى إلى وجوه الشاهدين، وكانت كلها مليئة بالخوف واللعنة..

وهبـت الفـتاة واقفـة ثم لبست ثوبها، وبحركة سريعة من يدها انتزعت سيجارة من بين شفتى بحار إنجليزى..

وصـاح صـوت مـن ورائـنا: «لقـد انـتهى العـرض فاخـرجوا مـن فضـلكم»، وخرجـنا جمـيعا مـن الـباب المغطى بالستارة، وكانت خطانا تتناثر على أرض الحارة مليئة بالخزى والمذلة..

وقلت لصديقى ونحن خارجان:

إن أصحابك يسرهم بلا شك أن تتردى نابولى فى هذه الهوة..

من المؤكد أننى لست مسئولا عن هذا..

ولكـن لابـد أنكـم مـزهوون لأنكـم قـد قهـرتم أمة إلى هذا الحد؛ فبدون هذه المناظر كيف كنتم ستحسون أنكم منتصرون!..

لسنا نحن الذين صنعنا نابولى؛ إن نابولى هكذا دائما..

لا.. ليسـت نـابولى هكـذا، لقد صنعت نابولى جديدة من أجلكم، ولكـن أخـبرنى يا صديقى.. لو انهزمت أمريكا فى الحرب، ألم يكن من المحـتمل أن تجلـس فـتاة مـن نـيويورك أو شيكاجو مكان عذراء نابولى ليتفرج المنتصرون عليها مقابل دولار؟..

وقاطعني صائحا: كف عن هذا الهراء.. ولم أعن بمقاطعته، بل استطردت قائلا:

إنني أفضل أن أخسر الحرب، وأن أجلس على مثل هذا السرير مثل هذه الفتاة المسكينة عن أن أمد يدى لأمتحن بكارتها لمجرد الإحساس بالنصر والفرحة المجنونة بالسيطرة..

وسألني الأمريكي قائلاً:

ولكنك جئت أيضا فلماذا صحبتني؟..

وأجبته:

لأني جبان، ولأني أريد أيضا أن أشعر بالمذلة التي يشعر بها المهزوم..

وقال في رنة سخرية:

ولماذا إذن لم تجلس أنت أيضا على السرير؟..

وسألته بدوري:

وهل كنت تدفع دولارا لتراني؟..

وأجاب الأمريكي:

لا أدفع سنتا واحدا لكي أراك..

وقلت له:

- ولكنى لو هزمت أمريكا مستعد لأن أدفع أكثر من دولار لكى أرى أحد أحفاد جورج واشنطن وهو يعرى نفسه من ثيابه، وإنى لأوكد لك إنى لو جلست على السرير لأتى جميع الجنود حتى الجنرال كلارك نفسه ليرانى؛ لأن منظر الرجل المنهزم أشد ذلة من منظر المرأة المنهزمة.. إنكم تريدون أن تستمتعوا بانتصاركم.. وأغرق كلانا فى الصمت، ثم انطلقنا فى الطريق..

كنت حينئذ أفكر فى أمر الاستسلام الذى أذاعه الملك منذ أسابيع قصيرة:

«يا ضباط وجنود الجيش الإيطالى، ألقوا بأسلحتكم وراياتكم كالأبطال تحت قدمى أول قادم».. وإذا كان هناك مجال للسخرية فى هذا الأمر فهو كلمة «كالأبطال».. الأبطال يلقون سلاحهم لأول قادم سواء أكان من المنتصرين أم المنهزمين. وكنا جميعا نفكر كيف يمكننا أن نلقى أعلامنا فى الوحل ببطولة!..

وكنت أفكر أيضا فى كلمة «الإيطاليين الأوغاد» التى سمعتها كثيرًا بالإنجليزية وبالفرنسية.. وكنت أتساءل: كيف يمكن أن تقال هذه الكلمة بالروسية وبالصربية وبالبولندية وبالدانمركية والهولندية والترويجية وبالعربية.. بل وبالبرازيلية والصينية والهندية ولغة مدغشقر، بل وحتى بالألمانية؛ لأن الألمان ما يزالون أمة منتصرة ليست كمثل أمتى فى نابولى وأزقتها.. إننا الأمة الوحيدة التى انهزمت حقا..

وفجأة ملأني السرور لأننا وحدنا، دون أمم العالم.. الأوغاد والفقراء وأولاد الخنازير كما تقول القوات المتحالفة..

وأخذت أتأمل الطريق الذى نمشيه صامتين، كل منا يفكر فى عالمه الخاص.. كانت درجات مدخل أحد المسارح مليئة بالنساء الجالسات يتحدثن فى صوت مرتفع ويضحكن، كان بعضهن يأكل فاكهة أو يدخن أو يملأ فمه بالحلو أو اللبان الأمريكانى، والأخريات يستندن بمرفقهن على ركبتيهن وقد دفنت وجوههن فى أيديهن الشاحبة، وفى بعض الأحيان كانت إحداهن تنطلق فى أغنية نابولية حزينة ثم يخفت صوتها كما بدأ..

وكان يمشى خلفنا جماعة من الجنود الزنوج فى حلتهم الخاكية الجديدة وأحذيتهم الصفراء اللامعة.. ثم أخذوا يصعدون سلالم المدخل فى زهو الزنوج، ويمرون بين النساء بقامتهم الطويلة القوية، وسرعان ما علت الضجة «خمسة دولارات.. خمسة دولارات» واختلط الزنوج بالنساء.. وأخذت أسرع الخطى.. صديقى وأنا لكى نبتعد عن الضجة..

وحين وصلنا أنا وصديقى إلى الطريق الواسع ودعته دون كلام، لكى أنطلق مرة ثانية فى شوارع نابولى التى ألقت أسلحتها وأعلامها فى بطولة تحت قدمى أول قادم..

رجعت إلى منزلى بعد تلك الجولة فى شوارع نابولى، وفى السادسة صباحا وقفت عربة «جيب» على بابى ونزل منها الملازم الأمريكى كامبل من البوليس الحربى، وأخبرنى أن علىّ أن ألحق

بالكولونيل هاملتون خارج مدينة «كاسينو» ووضعت معطفى على كتفى وأخذت بندقيتى وقفزت فى العربة..

كان كامبل صديقى الأمريكى الثانى شابا غامق الشعر، له عينان زرقاوان صافيتان، وكان الحزن هو سمته المميزة كأنه يفكر دائما فى أنه لن يعود إلى وطنه، وأن لغما ربما انفجر تحت قدميه فى أرض روما أو ميلانو، لذلك كان قليل الكلام، ونادرا ما كان يضحك..

وعبرنا جسر «كابوا» فاستقبلنا القافلة الأولى من الجرحى، وتتابعت القوافل؛ فقد كانت المعركة بين جيش التحرير والألمان تدور على مقربة منا، وكانت بعض شظايا المدافع تصل وتتهاوى حولنا، ولكن الملازم كامبل انطلق بالسيارة الجيب على الأرض الصخرية المنحدرة، وفجأة رأينا أمامنا نافورة من التراب والصخر تندفع فى الهواء، وسمعنا ضجة انفجار مزعج، وصاح كامبل «هذا لغم»، وبعد أن هدأت النافورة أخذ كامبل يتتبع خطى العربات التى سبقتنا فى حرص وحذر، ثم سمعنا أصواتًا حادة من خلال أشجار الزيتون، ولمحنا على بعد مائة ياردة جماعة من الرجال وقد تجمعوا حول عربة جيب قد غاصت عجلتاها الخلفيتان واخترق مؤخرها شظايا الألغام..

كان الجنود ملتفين حول جندى قد استلقى على ظهره فوق الأرض وهو يئن، وحينما اقتربنا منهم، نظر أحدهم وكان جاويشا إلى بذلتى وإلى وجهى، ثم قال لكامبل وهو يشير نحوى:

ما الذى أتى بهذا الوغد إلى هنا؟..

وأجـاب كامـبل: «إنه كابتن إيطالى فى الجيش الإيطالى الجديد، وهو يرافق القوات المتحالفة».

واتجـه الجـاويش إلىّ ثـم قال فى صوت هادر: «انزل عن العربة واتـرك مكانك لهذا الجريح»، وقفزت من العربة وأنا أقول: «مابالـه؟»، وقـال الجـاويش: لقـد أصـابته شـظية فـى بطـنه، ولابـد أن يـنقل إلى المستشفى حالا..

وقلت للجاويش «دعنى أراه» فسألنى «وهل أنت طبيب»؟

قلـت «لسـت طبيـبا، ولكـنى رأيـت كـثيرا مـن الجـرحى»، كان الجـريح صـبيا فـاتح الشـعر، وكـان وجهـه ينطق بالطفولة، أما الجرح الذى فى بطنه فقد كان غائرا رهيبا، ومنه كانت تتدلى أحشاؤه.

وقلت: «أعطونى بطانية».

وأحضـر لى أحـد الجـنود بطانـية، ففـردتها عـلى بطـن الجندى الجـريح، ثـم انتحيـت بالجـاويش جانـبا وأخبرتـه أن الجريح لا يمكن نقلـه إلى المستشـفى، وأن مـن الأحسـن أن لا يلمسه أحد بل أن يترك فى مكانه فى حين ينطلق الملازم كامبل ليستدعى طبيبا..

وقلـت لـه: «لقـد حاربـت فـى أماكن كثيرة، ولقد رأيت عشرات وعشـرات مـن الجـرحى أمثال هذا الجندى، وفى رأيى أن واجبنا الأول هـو أن لا ندعـه يتعذب، فإذا حملناه إلى المستشفى فسيموت فى الطريق

وقـد تعـذب عذابـا شنيعا، ومن الأجدى أن نتركه يموت فى مكانه دون عذاب، وليس بإمكاننا أن نفعل غير ذلك».

كـان الجـنود فـى ذلـك الوقت قد تكاثروا حولنا، وكانوا ينظرون إلىّ ساكنين..

وقـال كامـبل: «إن الكـابتن مالـبارته عـلى حـق، وسـأذهب إلى «كابوا» لأستدعى طبيبا»..

وصـاح الجاويش «لانستطيع أن نتركه هنا، إنها لجريمة، وربما أمكنهم مساعدته فى المستشفى»..

وتدخلـت قـائلا: «سـيعانى عذابـا شـديدا فـى حالـة نقلـه إلى المستشـفى، وسيموت قبل وصوله فدعوه يرقد حيث هو، ولا يلمسه أحد منكم»، وعندئذ التفت إلى الجاويش ثم صاح: «إنك لست طبيبا».

وأجبـته فى هدوء: «لست طبيبا، ولكنى رأيت عشرات الحالات مثل هذه الحالة»..

وأنهـى كامـبل المناقشـة حـين صـاح: «إنـى ذاهـب لأسـتدعى الطبيب».. ثم قفز إلى العربة.

وصـاح بـه الجاويش: «انتظر دقيقة يا حضرة الملازم، إنك ضابط أمريكى وواجبك أن تقرر قرارا، ولكنك قد شاهدت كل شىء، فإذا مات هـذا الصبى فـإنك تعـلم أن الخطـأ لـيس خطأنـا، بـل خطـأ هذا الضابط الإيطالى»..

وسألنى كامبل: «هل أنت على استعداد لتحمل مسئولية عدم نقل هذا الجندى إلى المستشفى؟»..

وأجبته: «نعم! إنى أتحمل المسئولية كاملة، فإن هذا الجندى ميت لا محالة، ومن الأوفق أن يموت دون عذاب»..

وانطلق كامبل بالعربة، ومالبث أن اختفى بين أشجار الزيتون، ونظر الجاويش إلىّ لحظة ثم سألنى: «والآن! ماذا علينا أن نفعل»؟

وقلت له: «إن علينا أن نسلى هذا الصبى المسكين، أن نقص عليه بعض الحكايات، أن لا نترك له مجالا لكى يعرف أنه مجروح جرحا مميتا»..

وسألنى الجاويش فى دهشة: «نقص عليه بعض الحكايات»؟

وقلت: «نعم، تقص عليه بعض الحكايات المضحكة، يجعله مبتهجا، لأنك لو تركت له وقتا للتفكير فى جرحه فسيتعذب»..

وقال الجاويش: «لا أحب التمثيل، ولست مهرجا هزليا.. لسنا إيطاليين أوغادا، فإذا كنت أنت تريد أن تهرج فتقدم، ولكن اعلم أنه إذا مات فستكون مسئولا أمامى»..

وقلت: «لماذا تشتمنى دون سبب، لقد قلت لك إنى مسئول عن عذابه لا عن موته»..

وقال الجاويش: «أجل»، ثم التفت إلى الجنود قائلا: «كلكم شهود، لقد قال هذا الإيطالى القذر»..

وصحت به: «اسكت! كفى شتائم وقذارات هل جئت إلى أوروبا لتشتم الناس أم لتحررها من الألمان»؟

وأغمض قبضته فى وجهى وقال: «كان ينبغى أن يموت أحد الإيطاليين بدلا من هذا الصبى الأمريكى، لماذا لم تخرجوا بمفردكم الألمان من بلادكم»؟

وسألته بدورى: «ولماذا لم تظلوا أنتم فى بلادكم؟ كان ينبغى عليكم أن تتركونا نحارب الألمان وحدنا»..

وقال الجاويش: «هون عليك! إنكم جميعا أيها الأوربيون أشرار، إن الشيء الوحيد الذى يصلحكم هو أن تموتوا جوعا»..

وانطلق الجميع فى الضحك، ونظروا إلىّ فى هدوء، وقلت للجاويش: «إنك تراني هنا أخوض معك نفس المعركة، فلماذا تشتمنى»؟

وقال الجاويش فى احتقار: «إنكم أمة قذرة»، وأجبته فى سخرية: «أما أنتم أيها الأمريكيون فأمة من الأبطال، ومع ذلك فقد أمكن لعشرة من الألمان وصف ضابط أن يوقفوكم أمام الخليج ثلاثة شهور»..

وتقدم نحوى الجاويش وقد كور قبضته، وفجأة سمعنا أنين الجريح والتفتنا جميعا نحوه وصاح الجريح فى صوت خافت «هاللو يا

أولاد»ثم استند على مرفقه محاولا أن يقوم من رقدته وابتسمت له وأشرت إلى الجاويش قائلا: «إنه يحسدك ويتمنى أن يكون جريحا مثلك لكى يعود إلى الوطن»!

وقال الجاويش وهو يدق بيده على صدره: «لماذا تعود أنت إلى الوطن ونظل نحن هنا»؟

وابتسم الجريح قائلا: «الوطن»!

وقلت: «بعد قليل ستحضر النقالة.. وسيحملونك إلى المستشفى، وفى خلال يومين ستكون على الطائرة إلى أمريكا، إنك حقا رجل سعيد»..

وابتدأوا فى التهريج لإضحاك الجريح فتناول الجاويش حفنتين من الطين ومسح بها على وجهه وهو يصيح: «هذا ظلم! هذا ظلم»! انتزع أحد الجنود قبعتى من على رأسي ووضعها فى الأرض، وأخذ يدور حولها راقصا وهو يقول: «مكرونة اسباجتى.. مكرونة اسباجتى!! سنيوريتا»..

وأخذوا جميعا يضحكون، وابتسم الجريح، وغمزنى الجاويش فى كوعى قائلا: «هيا»!

وتصاعد الدم إلى وجهى خجلا، فأنا لم ألعب دور المهرج فى يوم من الأيام، ولكنى كنت أرى إنسانا يتعذب، ومن واجبى أن أخفف

عذابـه.. أن أقوم بدور المهرج لا في سبيل الوطن أو الإنسانية أو الشرف أو المجد أو الحرية بل لكي أجعل طفلا أمريكيا يموت في هدوء..

وصحت: «مضغ اللبان! مضغ اللبان» ثم أخذت أقفز أمام الصبي الجريح، وكان الدور الذي اخترته دور رجل يمضغ قطعة هائلة من اللبان، وقد التصق فكاه بحيث لا يستطيع أن يتكلم أو يتنفس أو يبصق، وأخذت أرفع فكي الأعلى بكلتا يدي وأنا أدور وأقفز وأصيح، ثم فتحت فمي وصحت: «تفوه! تفوه»! وكأني أبصق قطعة هائلة من اللبان..

وضحك الأمريكيون جميعا حتى الجريح ضحك وهو يقول: «تفوه! تفوه»! ثم انطلق الجميع يؤدون هذه التمثيلية التي ابتكرتها، وارتفع صوتهم بين أشجار الزيتون يصيح: «تفوه! تفوه»!

وفجأة سمعنا صوتا يصيح من بعيد.. وخرج إلينا من بين الأشجار زنجي طويل القامة، وحين رآنا نقفز أخذ يهز رأسه في حركة رتيبة وهو يصيح صياحا عاليا، ونظر إليه الجريح واستغرق في الضحك..

كان الزنجي يحمل حقيبة على ظهره، ونظر إليه الجاويش ثم صاح به: «افتح هذه الحقيبة»، وفتح الزنجي الحقيبة وأخرج منها زجاجة من النبيذ الأحمر، ثم نظر إليها في شغف ورفع سدادتها وتناول منها جرعة وانطلق يصيح صياحا مجنونا «أهو! أهو!»..

وصاح الجاويش «أعطني الزجاجة».. ومد الزنجي يده بالزجاجة

فتناولها الجاويش وفتحها ثم صب جرعة كبيرة فى كأس ناوله له أحد الجنود.. ثم نظر إلىّ «فرد» الجندى الجريح، وقال: «فى صحتك يا فرد»..

وقال الجندى الجريح: «أعطنى كأسا فإنى عطشان»..

وتدخلت فى الأمر قائلا: «لا.. يجب أن لا يشرب»..

وقال الجاويش: «ولماذا لا يشرب؟.. إن كأسا من النبيذ تفيده بلا شك»..

وقلت فى صوت خفيض: «إن رجلا مجروح البطن يجب أن لا يشرب.. إن كأسا من النبيذ تقتله وتعذبه»..

وقال لى الجاويش: «إنك قذر»..

ولم آبه لكلامه.. بل صحت: «أعطنى كأسا من النبيذ لأشرب فى صحة فرد وصحة أسرته التى تنتظره فى أمريكا»..

وقال فرد باسما: «وصحة مارى حبيبتى أيضا»..

وشربنا جميعا نخب مارى، ثم قال الجاويش للزنجي: «عن أغنية لفرد.. أتعلم لماذا يحب أن تغنى!.. لأن (فرد) سيعود إلى الوطن بعد يومين»..

وأضاف فرد: «وسينتظرنى بابا وماما وأخى بوب وأختى

دوروثي وعمتي ليونورا..» ثم سكت وبدا أنه يتنفس في صعوبة بالغة..

وأكمل الجاويش قائلا: «وماري الجميلة»، وأطرف الجريح في ابتسامة ذابلة، والتفت الجاويش إلى الزنجي وسأله: «ماذا تفعل لو كنت العمة ليونورا؟»

وأخذ الزنجي يأتي بحركات مضحكة، كأنه امرأة عجوز واقفة في أرض أحد المطارات تنتظر مسافرا والصبي الجريح يبتسم..

ونظرت أنا إلى الجاويش مشيرا إلى الجريح: «انظر إلى الصبي، إن خديه يتألقان بالابتسام»

وقال الجاويش: «إنه يتعذب» وضغط بأصابعه على ذراعي..

وأجبته: «إنه لا يتعذب أبدا»..

وقال الجاويش في صوت أجش: «إنه يموت.. ألا ترى أنه يموت؟»

وقلت: «إنه يموت في سلام دون عذاب».

وصاح الجاويش: «أيها الإيطالي القذر»، وكانت الكراهية تموج في عينيه..

وفي تلك اللحظة أطلق «فرد» تنهيدة، وحاول أن يعتمد على مرفقية ويقوم.. ولكن لون الموت كان يزحف على خديه وعينيه، وكان

الجميع صامتين، الجنود والجاويش والزنجي.. وكانت عيونهم مليئة بالدمع..

وغمغم الرجل الجريح: «إني أشعر بالبرد»، وخلعت معطفي ولففته حول ساقيه، وخلع الجاويش معطفه وألقاه على كتفي الجريح، ثم سأله: «هل أنت بخير؟»

وأجاب الصبي: «نعم.. شكرا لكم»، والتفت الجاويش إلى الزنجي وقال له: «غن» وأجابه الزنجي: «لا.. لا.. أنا خائف»، وصاح به الجاويش: «إذا لم تغن فسأقتلك»، وجلس الزنجي على الأرض.. وانطلق يغني أغنية حزينة عن عذاب زنجي مريض يجلس على ضفة نهر وأمامه حقول القطن الممتدة، وأخذ الجريح يئن والدموع تبلل وجهه..

وصاح الجاويش بالزنجي: «اسكت.. إن أغنيتك حزينة، ولا نغم لها.. عن أغنية ثانية»..

وقال الزنجي: «ولكنها أغنية جميلة».. وأجابه الجاويش «بل هي أغنية كئيبة» وأشار إلىّ بأصبعه ثم استطرد يقول: «حتى موسوليني لا تعجبه هذه الأغنية»..

وضحك الجميع والتفت الجريح إلى وجههى في دهشة.. وصاح الجاويش: «اسكتوا جميعا، ودعوا موسوليني يتكلم»..

وابتسم الجريح، ونظروا جميعا إلى ، وقال الزنجي: «إنك لست موسوليني، إن موسوليني رجل عجوز بدين»..

وقلت له: «إنك تظن أننى لست موسولينى، ولكن انظر إلىّ جيدا»، ثم وقفت وقد باعدت بين قدمى ومددت عجيزتى للخلف ونفخت أشداقى وصحت: «إلى جميع لابسى القمصان السوداء فى إيطاليا.. إن الحرب التى انهزمنا فيها بشرف قد كسبناها ثانية، وأن أعداءنا المحبوبين، استجابة لدعوات جميع الإيطاليين، قد نزلوا أخيرا إلى إيطاليا ليحاربوا حلفاءنا الأشرار الألمان، يا لابسى القمصان السوداء اهتفوا «لتحيا أميركا»..

وهتف الجميع فى مرح: «ليحيا موسولينى».. وضحك الجريح..

وصاح بى الجاويش: «استمر»، ولكنى كنت حزينا فلم أستطع أن أنطق، وحاولت أن أعتذر للجاويش، ولكنه هددننى بقبضة يده.

وعندئذ لاحت بعض الفتيات الإيطاليات، والتفت إليهن الجميع.. وتقدم منهن الجاويش وصاح بإحداهن: «هل نرقص يا سنيوريتا»..

وأخرج الزنجى آلة موسيقية صغيرة من جيبه ورفعها إلى شفتيه وأخذ يعزف، وابتدأ الجاويش الرقص مع إحدى الفتيات، وسرعان ما نسى الجميع كل شىء إلا الرقص. وجلست أنا على الأرض بجانب الجريح وقلت له: «إنهم ظرفاء .. إن الأمريكيين ظرفاء وأنا أحبهم»..

وقال الجريح: «والإيطاليون أيضا ظرفاء، لقد أحببتهم منذ نزلت إيطاليا»، ثم مد يده فأخذ يدى وضغط عليها ضغطا واهنا.. واحتفظت بيده بين يدى حتى أصبحت باردة كالثلج، ونظرت فى

وجهه.. وصاح الجاويش: «إنه ميت»..

وصحت في الراقصين، فأقبلوا جميعا ونظروا في وجهه وصاح الجاويش: «إنه ميت»..

وقلت: «إنه نائم.. لقد استغرق في النوم دون أن يتعذب»..

وزار الجاويش قائلا: «إنك مسئول عن موته.. لقد قتلته يا أيها القذر»، ثم ضم يده ولكمني في وجهي، وصاح الجميع: «أيها القذر» ثم انهالوا عليّ ضربا ولكما، ولم أحاول أن أرد ضرباتهم أو أحمي نفسي من اللكمات، ولم أنطق بكلمة.. لقد مات «فرد» دون ألم، وقد كنت مستعدا أن أهب حياتي لكيلا يتعذب، لقد كنت ملقى على الأرض تحت أقدامهم، وسعيدا لأني منحت إنسانا الموت دون عذاب..

وفجأة سمعنا صوت سيارة.. وصاح كامبل بعد أن ترجل عن السيارة: «ماذا هناك؟»

وتراجع الجميع بعيدا عني في سكون، وتقدم الطبيب الذي كان يصحب كامبل وسأل مشيرا إليّ: «ماذا فعل هذا الرجل الذي يسيل منه الدم؟»

وقال الجاويش: «إنه إيطالي قذر، لقد ترك الجريح يموت.. لقد منعنا من نقله إلى المستشفى.. لقد تركه يموت في الطين كأنه كلب»..

وسألني الطبيب: «لماذا منعتهم من الذهاب به إلى المستشفى؟»

وقلت: «لو نقلناه إلى المستشفى لمات فى الطريق بعد أن يعانى أشد العذاب، فلقد كانت بطنه مشقوقة، ولم أكن أريد له أن يتعذب وقد مات دون أن يدرى أنه يموت.. وكأنه طفل يستغرق فى النوم»..

ونظر إلىّ الطبيب فى هدوء، ثم اتجه إلى الرجل المريض، ورفع البطانية، ونظر نظرة طويلة فى الجرح الغائر المخيف، ثم ترك البطانية واتجهت عيناه إلىّ ثم مد يده فمددت يدى وصافحنى وهو يقول:

«أشكرك على عنايتك به.. أشكرك عن الجيش وعن أمه وأسرته»..

كان الأمير كانديا، وهو أحد أرستقراطى نابولى قد أقام حفلة عشاء، دعا إليها بعض أصدقائه الأرستقراطيين والكولونيل الأمريكى وأنا، والأمير بهذه المناسبة رجل نبيل حقا، يتمتع بمكانة مرموقة بين مواطنيه، وهذه المكانة قديمة ترجع إلى عام ١٩٣٨ حينما زار هتلر نابولى فرفض الأمير أن يحضر المأدبة التى أقيمت تكريما للفوهرر، وأصدر موسولينى حينئذ أمرا باعتقاله ثم بتحديد إقامته فى قريته، وقد ارتفعت مكانة الأمير حين رفض هذه المرة أن يشترك فى الوفد الذى اختير لكى يسلم مفاتيح المدينة للجنرال كلارك الأمريكى، وقد قال الأمير إنه ليس من عادة نابولى أن تسلم مفتاحها لمن يغزوها؛ فلما قيل له أن الأمريكيين محررون لا غزاة أجاب بقوله: كنت دائما رجلا حرا، والعبيد وحدهم هم الذين ينتظرون محررهم..

وجلسنا على مائدة الأمير، وأخذنا نتحدث حتى سألت السيدة ماريا تيريزا، إحدى نبيلات المدينة، الكولونيل جاك هاملتون قائلة: هل هناك كثير من الزنوج فى الجيش الأمريكى؟

وقال الكولونيل: نعم.. هناك كثيرون.. وقال كونسيلو، وهو إيطالى كان سفيرا لبلاده فى لندن زمنا طويلا.. لقد أخبرنى أحد الضباط الإنجليز أن هناك كثيرا من الزنوج الأمريكيين فى إنجلترا نفسها، وقال لى إن السفير الأمريكى سأل مرة فى إحدى المآدب سيدة إنجليزية أرستقراطية عن رأيها فى الجيش الأمريكى، فقالت.. إن جنوده يعجبوننى، ولكنى أتساءل لِمَ أحضروا بينهم هؤلاء البيض الشبان؟ لقد كانت السيدة تظن أن الجيش الأمريكى كله من السود..

وقال الكولونيل: «إنى أعجب لماذا يفضل أهل نابولى صداقة الجنود السود على البيض؟» وأجاب الأمير فى هدوء: «لأن أهل نابولى قوم طيبون، والسود طيبون كذلك»..

كنت أحس أن الحديث لا يعنينى، ولذلك جلست ساكتا أسمع دون أن أتكلم، وفجأة سمعنا صوتا فى السماء، صوتا عرفته نابولى فى الأيام الأخيرة كثيرا.. لقد كان صوت طائرة، وسكتنا جميعا، ثم اهتزت الأرض، وقمنا من على المائدة، وفتحنا النوافذ فى سرعة..

وبدأت أصوات أخرى تقترب، وكانت كأنها تتصاعد من البحر الساكن، ثم تثب من منزل إلى منزل عبر المدينة، من شارع إلى شارع، حتى تراكمت أخيرا فى صرخة بشرية متألمة حادة الرنين..

وتراجعنا عن النوافذ، ثم خرجنا إلى الصالة التى تطل على الحديقة ثم البحر، ومددنا أبصارنا إلى هوة السماء الخضراء ومبانى الميناء التى تلوح كالأشباح، وإلى بركان فيزوف وقد توسط القمر فوقه.. كان المنظر كله جميلا حزينا..

وأحسست اقتراب الخطر، كأن شيئا سيأتى من الخارج ليدمر روحى.. شيئا أستطيع أن ألمسه وأن أراه، ومددت يدى لألمس يد كونسيلو كأنى أريد أن أخبره أن هناك خطرًا مدمرًا فى الأفق، وأن علينا أن يشجع كل منا الآخر.

سقطت القنبلة قريبا منا، على سور الحديقة الخلفى، بعد بضع ثوان سمعنا الصوت المدوى لانهيار الحائط، ثم أصواتا مختلطة مختلفة كأن كلا منها ينادى الآخر، ثم تلك الخطى المفزوعة المضطربة، ثم أصوات الخدم العالية وهم يأمرون الناس بالهدوء، ثم أخذت هذه الأصوات تقترب وعلى مدخل الصالة كانت جماعة كبيرة مذعورة من أهل نابولى..

وعلى ضوء شمعدان يحمله أحد الخدم، ويلقى ضوءا أحمر شاحبا على المدخل، كانت تقف جماعة من النساء شبه عاريات، لقد خرجن من الفراش إلى الشارع، وكن يسكتن برهة ثم يرتفع صوتهن فجأة كأنه عواء حيوان، وكن جميعا يتلفتن بعيونهن نحو الباب الذى دخلن منه كأنهن يخشين أن يكون الموت هو الذى ساقهن أمامه إلى هذا المكان، وسيدخل هو بعد ذلك بوجهه البشع ليحصدهن حصدا، وأخذنا

نحاول تهدئتهن دون جدوى، وكان كثير منهن مازلن شبه نائمات، وكان الخجل يربكهن لأنهن عاريات تقريبا؛ فكن يحاولن أن يغطين أكتافهن بأيديهن أو يحتمين وراء الأطفال الذين كانوا ينظرون إلينا فى ذعر ورهبة..

كان على المائدة كومة من الصحف، وأمر الأمير خدمة أن يوزعوها على النساء ليغطين بها أجسادهن العارية..

لقد كان هؤلاء جميعا جيران الأمير، ورغم أن الدهشة كانت تملؤهم لوجودهم فى هذه الصالة الرائعة المموهة بالذهب والمزينة بصور العصور الوسطى، إلا أنهم سرعان ما استردوا رباطة جأشهم، وخاصة بعد أن نثر الخدم الشموع فى أرجاء الصالة؛ وأخذوا يتكلمون ويوجه بعضهم الشكر للأمير شكرا يا سنيور.. شكرا..

وأحضرت الكراسى؛ وأمرهم الأمير فى صوت مرتفع أن يجلسوا، ثم صب لهم الخدم النبيذ، ونظر الأمير إلىّ ثم قال: «ليت عندى بعض الخبز لإطعامهم، ولكنك تعلم أن الخبز قد أصبح نادرا هذه الأيام»، ولم أستطع أن أجيبه فأحنيت رأسى..

وعندما بدأ الخدم فى صب النبيذ فوجئنا برجل يخرج من بين الصفوف ثم يتجه إلى المائدة، ويرفع بكلتا يديه إحدى جرار النبيذ المليئة، ثم يطوف بالنساء واحدة بعد أخرى ويملأ لكل منهن كوبها، ثم يتجه إلى الأمير، ويقول فى صوت ساخر «بعد إذنك يا صاحب السعادة!» ثم يملأ لنفسه كوبا كبيرة، ويجرعها مرة واحدة..

كان الرجل أحدب، في الخمسين من عمره ذا وجه نحيل وشارب صغير، وكانت هيئته مضحكة، وأخذت الأصوات تعلو في الصالة تناديه «جنريللو»، والتفت الأحدب إلى الأمير ثم قال له بنفس الصوت الساخر.. بعد إذنك يا صاحب السعادة!.. ونظر إلى النساء جميعا بأسى ثم اندفع يجرى في الصالة وهو يلوح بذراعيه ويدق صدره بيديه المضمومتين كأنه يحاول أن يمسك شيئا في الهواء.. طائر أو سحابة أو ملاك أو زهرة ملقاة من نافذة، وابتسمت إحدى النساء ثم امرأة أخرى ثم أضاءت وجوههن البيضاء جميعا بالابتسام، ثم قامت إحداهن ووقفت أمامه وأخذت تجارى حركاته، ثم امرأة أخرى ثم ثالثة ثم قمن جميعا، وأخذ الأحدب يقفز بينهن والجميع يضحكن ويرقصن.. حتى الأطفال..

وفجأة اهتزت الجدران مرة ثانية، ثم انطفأت الشموع، وأخذ الغبار يتراكم في مدخل الصالة ثم سقطت بعض الجدران وسمع صراخ ونحيب وعويل، وصاح الأمير «لا تخافوا! لا تخافوا»، وأسرع الخدم بإنارة الشموع.. وكان هناك كوم من النساء ملقى على الأرض، بلا حراك، جامد الأعين، وفي وسطهن كان الأحدب، أزرق الوجه وقد تمزقت ثيابه، وحالما أضيئت الأنوار أسرع فوثب فوق أجساد النساء، وأخذ يجرى مذعورا خلال الباب..

وصاح مضيفنا «لا تخافوا! لا تخافوا لا تتحركوا من أمكنتكم»، كانت النساء قد أخذن أطفالهن في أيديهن وتدافعن نحو الباب في رعب «أين تظنون أنكم تهربون» بينما مد الخدم أيديهم وهم يحاولون

إيقاف هذا القطيع من النساء المندفع نحو الباب، وفجأة سمع صوت من بعيد، ثم اقترب الصوت، وظهر على مدخل الباب جماعة من الرجال، يحملون في ذراعهم بنتا صغيرة مغمى عليها..

وصاح الأمير بالخدم «دعوهم يدخلون»! وتقدم بنفسه ليشق لهم طريقا وهو يدير عينيه في الصالة ليتخير لهم مكانا يستطيعون فيه أن يرقدوا الصبيه الصغيرة..

ومد يده إلى المائدة، وأخذ يزيح الزجاجات والأكواب التي تناثرت إلى الأرض متحطمة حتى أوسع مكانا للفتاة، ثم قال «ضعوها هنا».

وعندما مدد الرجال الفتاة على المائدة تبين لهم أنها ميتة، كان أحد ذراعيها ملقى إلى جانبها بينما انعقد الآخر على ثديها الأيسر الممزق.. ولكن ميتتها الشنيعة لم تمح من وجهها صفاء العينين ولا ابتسامة الفم، كان كل شيء في جسدها ووجهها باردا ما عدا الابتسامة والنظرة كانتا كلهما حياة وتألق، وكان جسدها الملقى على المائدة يلقي في المكان كله ظلال من الهدوء والسلام..

وتقدم مضيفنا فجس نبضها، واتجهت إليه جميع العيون كأنه هو وحده الذي يستطيع أن يقرر مصير الفتاة التعسة، وحين قال «لقد اصطفاها الله» ارتفعت أصوات البكاء والعويل، وأخذ النساء يشددن شعرهن ويلطمن الوجوه ويصحن باسمها «كونشتي! كونشتي»، كانوا جميعا يعرفون الفتاة ويحبونها، وتقدمت امرأتان عجوزان إلى الجسد

الملقى على المائدة ثم أخذتا تقبلان ذلك الجسد وتعانقانه في شبه جنون وهما تصيحان «قومي يا حبيبتي! قومي»!.. كانت المرأتان تعانقان الجسد وتقبلانه في عنف وجنون ويأس، وكانتا تصيحان في تفجع وقسوة حتى توقعت أن أراهما في النهاية تنهالان على الجسد الميت ضربا..

وصاح مضيفنا «خذوها إلى حجرة داخلية» لم تقدم فدفع المرأتين الباليتين، ورفع الجسد الميت بين يديه في رقة ووضعه في أيدى الخدم الذين حملوه إلى غرفة داخلية..

كانت الفتاة الصغيرة الميتة شبه عارية، ولف مضيفنا جسدها بمفرش المائدة والخدم يقلبونها بين أيديهم، ثم تقدمت ماريا تيريزا وقالت له: «استرح أنت، ودعنى أتم هذا العمل».. وسارت ماريا تيريزا وراء الخدم ومعها بعض النساء..

كان الفجر قد أشرف على البزوغ، والسماء على امتدادها تهتز بنسيم الصباح، والطيور وحفيف الأشجار وبركان فيزوف من بعيد.. والنقوش الأرابسك فى الصالة ومدخل غرفة المائدة التى استلقى فيها الجسد الميت أمام ناظرى كان منظرًا غريبًا يلوح لى من خلال باب الغرفة، لقد استلقت الصغيرة عارية تماما، وكانت ماريا تيريزا تغسل جسدها وتجففه يعاونها بعض النساء يحملن لها حوض الماء وزجاجة الكولونيا وقطعة الإسفنج، وكان كل شيء فى الغرفة ينعكس على وجه الفتاة.. نور الشمعدان الشاحب وانعكاس المزايا والنجف والصينى

وضوء الفجر الشفاف.. وكان كل ما حولنا ساكنا حتى بكى طفل، فبكت بعض النساء في هدوء دون صوت..

في ذلك الحين كانت النساء في الغرفة يضعن على الفتاة ثيابا حريرية جميلة ويزينها ويمشطن شعرها، وتسللت بعض النساء الأخريات من الصالة إلى غرفة المائدة ثم وقفن أمام الفتاة الميتة وهن يصحن «ما أجملها! ما أجملها»، وتقدمت واحدة فركعت أمام المائدة وتمتمت بالصلاة، وتبعتها أخريات، وصاح صوت واهن في شغف «إنها معجزة! إنها معجزة»!

وتلقف الآخرون الكلمة «معجزة! معجزة»، وابتعدوا قليلا عن المائدة كأنهن يخشون أن تلوث هلاهيلهم وأسمالهم القذرة روعة المعجزة، وانتقلت كلمة المعجزة من شفة إلى شفة، ومن غرفة إلى أخرى، ومع الصباح كان كثير من الفقراء من «فيكولا دل بالنتو» وغيرها من القرى المجاورة يتجمعون أمام الباب ليشاهدوا روعة المعجزة، وكانت بعض النساء العجائز يحملن الشموع المضاءة وينشدن التراتيل.. وتبعتهن نساء أخريات وأطفال بلا عدد يحملون الزهور البيضاء والحلوى التقليدية التي يأكلها أهل نابولي في الأعياد الدينية، وكان بعض النساء يحملن أواني النبيذ أو سلال الليمون، وبعد قليل جاءت نساء يصحبن معهن أطفالا مشوهين وعرجا وعميانا ومرضى، ووقفن جميعا أمام الباب في انتظار المعجزة..

قبل هذا اليوم بأيام قليلة، كان الجنرال كلارك الأمريكي قد أقام مأدبة عشاء تحية لمسز فلات، وهي سيدة أمريكية تعمل في الصليب الأحمر، وتشرف على كثير من أعمال الخير، والجنرال

كـلارك رجـل حـازم جـاد، ولكنه يحب أن تزدان مائدتـه في كل وليمة يقيمها بصـنف غريـب من الطعـام، ولما كان حوض الأسماك في نابولى مليئا بالأسمـاك الغريـبة فقـد تعـود الجنرال كلارك كلما زاره زائر ذو أهمية أن يزين مائدة الطعام بصنف غريب من السمك..

وفي تلك المرة نادى الجنرال كلارك طباخه وأمره أن يختار نوعا غريـبا مـن السمك كالعادة ليكون في وسط المائدة، وقال له الطباخ إنه لم يـبق في الحوض - بعد الولائم التي أقامها الجنرال لتشرشل وفشنسكي وغيرهمـا - إلا عـروس الـبحر.. وسـأله الجنرال: «وهل طعمها لذيذ؟» وأجابـه الرجل: «لذيذ جدا يا سيدى الجنرال»، وجلسنا على المائدة في انـتظار الطعـام، وتقـدم الطـباخ والسـفرجي فوضـعا صـحنا كـبيرا أمـام الجـنرال والمسـز فلات، ثم تأخرنا خطوتين، وما كدنا ننظر في الصحن حتى شحب وجهنا، وندت صرخة فزع من شفتي المسز فلات.. وتراجع الجنرال في مقعده..

كـان في السـجن فتاة صغيرة في الثامنة أو العاشرة من عمرها، أو مـا يشبه فتاة صغيرة أكبر الشبه، وكانت عيناها مفتوحتين وشفتاها نصـف مغلقـتين، وكانـت عاريـة تـلمع بشـرتها الداكنة كما يلمع ثوب المسز فلات الغامق، وكان جسدها ناميا.. صدرها وعجزها حتى ليخيل إلـيك أنها في الخامسة عشرة من عمرها، ولكن الطهي والغليان كانا قد هـدلا تماسـك جسدها، وكانـت هذه أول مرة في حياتي أرى فيها فتاة صـغيرة بعـد طـبخها، ولذلـك فقـد عقد الرعب لساني، مثلما عقد لسان الجميع..

وقال الجنرال كلارك في صوت مرتعش: «ولكنها ليست سمكة.. إنها فتاة صغيرة»! وقلت «لا.. هى سمكة»..

وسألنى الجنرال: «هل أنت واثق أنها سمكة؟.. سمكة حقيقية»..

وأجبته: «نعم.. إنها سمكة.. إنها عروس البحر الشهيرة التى أهديت للك إيطاليا من بحار الحبشة»..

وصاحت المسز فلات: «ابعدوا هذا الشيء الفظيع عنى.. إنى لم آت إلى أوروبا لآكل الفتيات الصغار»..

وقال الجنرال كلارك: «ولكنها سمكة.. ليست فتاة صغيرة، فقد أكد لنا مالبارته أنها سمكة»..

وأجابت السيدة الأمريكية فى صوت بارد: «إنى لا أصدق تأكيداتك، ولا تأكيدات صديقك مالبارته هذا.. هل جئت إلى أوروبا لآكل لحم الفتيات بالمايونيز؟.. أرجوك ارفع هذا الصحن عن المائدة»..

وصاح الجنرال كلارك فى الطباخ: «ارفع هذه الفتاة.. أقصد هذه السمكة عن المائدة»، وفجأة صاح أحد الجالسين على المائدة واسمه الكولونيل براون وهو من كبار الوعاظ فى الجيش الأمريكى: «ينبغى أن ندفنها.. هذه الطفلة المسكينة»..

وصاحت مسز فلات: «ماذا؟»

وقال الواعظ: «لقد قلت ندفنها»..

وقال الجنرال في دهشة: «ولكنها سمكة يا صاحب القداسة»..

وأجاب الواعظ: «أنتم تقولون إنها سمكة.. ولكنها تشبه الفتاة الصغيرة أشد الشبه.. ومن واجبنا أن ندفن هذه البنت الصغيرة.. من واجبنا كمسيحيين.. ألسنا مسيحيين؟» وقالت مسز فلات: «إني أميل إلى رأى صاحب القداسة»..

ووجدت الفرصة سانحة للتدخل فقلت: «ولكن ليس هناك مدافن للسمك في نابولى.. إن أهل نابولى يأكلون السمك ويدفنون الناس، ولكنهم لا يأكلون الناس ويدفنون السمك»..

وقال الواعظ، وكأنه لم يسمع كلامي: «نستطيع أن ندفنها في الحديقة».. وأحنى الجنرال رأسه موافقا، وأطرقت المسز فلات، ثم انحدرت الدموع في عينيها وصاحت: «شكرًا لله»..

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المشروع القومى للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت . حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت: عاطف أحمد / إبراهيم فتحي / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدي أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩ – الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت: محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستي	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسي التدعيمي	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفي فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسي سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحي
٥٥ – ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : علي يوسف علي
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود علي مكي
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطي
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبري محمد عبد الغني
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف · محمد الجوهري
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعي .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	لوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمي	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ – السياسي العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلي
٧٣ – نقد استجابة القارئ	جين . ب . تومبكنز	ت : حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوفا	ت : حسن بيومي
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمري
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوي
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	ت : محمود السيد علي
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالي
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقي	ت : أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العناني
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوي
٩٥ – مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سري محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (مج ١)	فرنان بروديل	ت : بشير السباعي
٩٨ – الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحي
١٠١ – النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣ – قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجني	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوي
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	جيرارجينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسي	د. ماريا خيسوس روبييرامتي	ت : أشرف علي دعدور
١٠٧ – صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدي

العنوان	المؤلف	المترجم
١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
١٠٩ – حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد	سادي پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلي
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهري سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ – الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقولاي إيفانوف	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب	جون جراي	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقي	سيدريك ثورپ ديڤي	ت : سمحه الخولي
١٢٦ – فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعي
١٢٨ – الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقي جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة	مايك فيدرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا	طارق علي	ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة	باري ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحي
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارروني	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبوري
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
١٤٣ – قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت : عدلي السمري
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوني	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان بروديل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتّاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أتيال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان بروديل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	ت . صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	والتر ت . ستيس	ت . إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	إليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة	و. ب. ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحي العشرى
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقي سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرج علَوى	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	بول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو – أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلي النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زاللان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية في الكون	باري باركر	ت علي يوسف علي
٢٢١ – شعرية كفافي	جريجوري جوزدانيس	ت . رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراي	ت نسيم مجلي
٢٢٣ – العلم في مجتمع حر	بول فيرابند	ت السيد محمد نفادي
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت . منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت . السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد علي البربري
٢٢٧ – المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	موسى ماريا ديف بوركي	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيملن	ت : أمير إبراهيم العمري
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١ – الدراقيل	خايمي سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام في السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت . فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس تبريزي ج١	جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادي	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربي مدبولي أحمد
٢٣٩ – العربي في الأدب الإسرائيلي	جيلا رامراز – رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامي حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – في انتظار البرابرة	ك. م كويتزي	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت صبري محمد حسن عبد النبي
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفي بروفنسال	ت مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق علي منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جارثيا ماركث	ت : علي إبراهيم علي منوفي
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوي
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت . ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهري
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت . علي بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيميونوفا	ت . حسن بيومي
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروجان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت . محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	جون جريبين	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الجينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وليبرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – رحلة إبراهيم بك ج٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم الترجمة واللغة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت . محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. مارس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فتجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالابارته	ت . صلاح عبد الصبور

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦٢٠٥ / ٢٠٠١



هذه الرواية يوميات مدينة أفسدت الحرب حياتها... مدينة كانت تقاتل فى بسالة؛ فلما دخلها المنتصرون أذلوا شعبها بالجوع والمرض والحطة، والمدينة هى نابولى، أول مدينة إيطالية دخلتها جيوش الحلفاء فى سبتمبر عام ١٩٤٣، جيوش جائعة للشهوة والمتعة، وهى تبحث عن متعتها فى كل مكان.

ومؤلف هذه الرواية هو كورزيو مالابارته الكاتب الإيطالى الشهير، الذى كتب إلى البابا يطلب مغفرته على كتابة هذه الرواية التى كتبها على صورة فصول مستقلة، تصور حياة مدينته التعسة بعد الحرب، ولكن هذه الفصول جميعها تتكامل فى بناء روائى يترك فى النفس إحساسًا عميقًا بكراهية الحرب... الهزيمة فيها والانتصار...

ومالابارته عرف الحرب معرفة وثيقة، فحين شبت الحرب العالمية الثانية كان يعمل مراسلا لإحدى الصحف فى الجبهة الروسية.

ومن انطباعات هذه الأيام التى صحب فيها الكاتب جيوش الحلفاء كتب روايته هذه.. الجلد..